بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ:25/01/2008 الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((سلسة قوانين القرآن))

في ((سنن الله مع الايمان والعمل الصالح))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعة الله، فنحن اليوم في دار عمل لا نحاسب فيها وغداً ماضون إلى دار حساب لا نعمل فيها...

إنه من ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾ [الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير، يقول الله تعالى في محكم التنزيل:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) ﴾ [آل عمران]

وقال ربنا: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43)﴾[فاطر]

نحن في الخطبة الخامسة من سلسلة السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن...

في القرآن قرارات وقوانين لا تتبدل ولا تتغير، ولا تحابي ولا تماري، وقعت في الماضي وهي تقع اليوم وستبقى تحدث إلى يوم القيامة..السنن الإلهية في القرآن...

تحدثنا لماذا هذه السلسلة، وتكلمنا عن السنن الإلهية في التغيير، وعن السنن الإلهية في الذنوب والسيئات، وعن السنن الإلهية في النصر...

وعنوان خطبة اليوم: **السنن الإلهية في الإيمان والعمل الصالح**

أيها الإخوة وردت كلمة الإيمان مقرونة بالعمل الصالح الذين آمنوا وعملوا الصالحات أكثر من خمسين مرة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...(25)﴾[البقرة]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7)﴾[البينة]

وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28)﴾ [ص]

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (9)﴾[العنكبوت]

أكثر هذه المواضع التي زادت على الخمسين فيها بشارات للذين آمنوا وعملوا الصالحات، بشرهم ربهم في القرآن الكريم بالجنة وبالمغفرة وبالرزق الكريم وبالهداية وبالأجر العميم وبالجزاء الأوفى وبالاستخلاف في الأرض وبأنه سيجعل لهم وداً....

وإني قرأت في هذه العبارة الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثلاث دلالات....

وقرأت في هذه الآيات التي زادت على الخمسين ثلاث سنن إلهية هي مادة خطبة اليوم...

ثلاث دلالات للذين آمنوا وعملوا الصالحات وثلاث سنن إلهية...

أما دلالات عبارة الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهي:

الدلالة الأولى: قرن الله تعالى الإيمان بالعمل الصالح في هذه المواضع كلها في بيان أن الذي ينفع في الدنيا والآخرة العمل الصالح مقروناً بالإيمان مع بعضهما...

أما العمل الصالح من دون الإيمان فإنه وإن كان نافعاً في الدنيا فلا ينفع في الآخرة....

قال الله تعالى في سورة الكهف:

﴿ ooo فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110) ﴾[الكهف]

مقروناً الإيمان بالعمل وكذلك الإيمان وحده بدون عمل، لا يظهر كمال الإيمان إلا بالعمل...

لأن الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل ، أنا لا أعرف مادة إيمانك إلا من خلال أعمالك...

ثم إن الإيمان حركة ما إن تؤمن حتى تبدأ العمل، ما إن تؤمن حتى تبدأ العمل الصالح...

أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي وكان سيد قبيلة دوس في الجاهلية لا تنزل له قدر عن نار ولا يوصد له باب أمام طارق، يطعم الجائع ويؤمن الخائف ويجير المستجير، وهو إلى ذلك أديب أريب لبيب شاعر مرهف الحس ورقيق الشعور....

قال الطفيل: لما أسلمت أقمت بعد إسلامي زمناً في مكة تعلمت فيها أمور الإسلام وحفظت فيها ما تيسر من القرآن ، ولما عزمت على العودة إلى قومي قلت: يا رسول الله إني امرؤ مطاع في عشيرتي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً فيما أدعوهم إليه...فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الطفيل: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد سنوات ومعي ثمانون بيتاً من دوس أسلموا وحسن إسلامهم...

ما إن تؤمن لابد أن تعمل مباشرة عملاً صالحاً ، ما إن تؤمن حتى تبدأ العمل الصالح والإيمان حركة والمؤمن فعال...

وهذه الدلالة الأولى في الذين آمنوا وعملوا الصالحات...

الدلالة الثانية: قال الله تعالى: ﴿ . .عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . . (9) ﴾[العنكبوت] **ولم يقل فعلوا الصالحات...**

ما الفرق بين عمل وبين فعل!!!؟

العمل في اللغة: هو ما يتكرر مرارا وتكراراً، أما الفعل فهو الذي يحدث مرة أو قل مرتين...

قال الله تعالى في سورة الفيل : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) ﴾

لقد أهلك أصحاب الفيل مرة واحدة فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ . .(1) ﴾.

وذات مرة حطم سيدنا إبراهيم أصنام قومه فقالوا له: ﴿ . . أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) ﴾[الأنبياء] ، هو مرة واحدة حطم الأصنام فقالوا أأنت فعلت...

ومرة ضرب سيدنا موسى رجلاً فقضى عليه فقال له فرعون: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) ﴾[الشعراء] فعلها مرة واحدة...

فالفعل هو الذي يتكرر مرة أو مرتين، أما العمل فهو الذي يتكرر كثيراً وهذه واحدة من الفوارق بين الفعل والعمل....

لذلك قال الله تعالى: ﴿ .الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . . (9) ﴾[العنكبوت] ولم يقل الذين آمنوا وفعلوا الصالحات في دلالة على أن المؤمن شأنه العمل الصالح..

يعمل الصالحات مراراً وتكراراً شغله الشاغل عمل الصالحات، لا ينهي عملاً صالحاً حتى يفتتح عملاً صالحاً بعده...

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة)) [الترمذي]

وهذه الدلالة الثانية لقول الله تعالى: ﴿ .الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . . (9) ﴾[العنكبوت]

الدلالة الثالثة : هي قول الله تعالى: الصالحات...

وهذه الكلمة عند أهل اللغة: هي اسم جمع مؤنث سالم محلى بأل فهو عندهم يفيد العموم...

يعني عموم الأعمال الصالحات مهما تذكرت من الأعمال الصالحات فهو داخل في هذه الكلمة... تذكر ما تستطيع من الأعمال وكلها أعمال المؤمن...

النظافة عمل صالح، النظام عمل صالح، صلة الرحم عمل صالح، قضاء حاجات الخلق، الصلاة، كفالة اليتيم، بر الوالدين، إكرام الضيف، الإصلاح بين الناس رعاية الجار، الصوم...

زيارة أهل الخير، الحب في الله، الصدقات والزكاة، عيادة المريض، إتقان العمل، توقير العلماء، رعاية الزوج والزوجة، الشفاعة، ستر عورات المسلمين....

نصرة المظلوم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الدلالة على الخير.. وغيرها وغيرها كثير وكلها تدخل تحت كلمة الصالحات...

وهي دلالة تدعو المؤمن إلى الإكثار والتنويع من الأعمال الصالحات فما لا تدركه من هذا العمل الصالح ستدركه من العمل الآخر، المهم لا تقعد من غير عمل صالح لأن قيمتك أيها الأخ في عملك الصالح...سعادتك في الدنيا والآخرة في عملك الصالح...

افعل الخير ولو كان قليلاً فلن تحيط بكله

ومتى تفعل الكثير من الخير إن كنت تاركا لأقله !!!

هذه أيها الإخوة دلالات ثلاث لعبارة الذين آمنوا وعملوا الصالحات...

1- **العمل الصالح ينفع في الدنيا والآخرة إذا اقترن بالإيمان...**
2- **عملوا مختلفة عن فعلوا...**
3- **ثم الصالحات تمتد بالأفق البعيد بين يدي المسلم في الأعمال الصالحة....**

أما السنن الإلهية في الذين آمنوا وعملوا الصالحات...

أما القوانين التي قررها رب العالمين بآلاف مليارات السنين والتي هي قوانين ثابت فقرأت فيها ثلاثة قوانين...

السنة الأولى: الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الحياة الطيبة.

أليس الناس كلهم يبحثون عن حياة طيبة!!؟ لماذا نجمع المال!!؟ لماذا نزداد في الرتب العلمية!!؟ لماذا نسعى في الجاه!!؟ لماذا نتزوج، لماذا ننجب!!!؟ لماذا نتعالج!!؟ ألسنا نبحث جميع عن الحياة الطيبة!!!؟

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)﴾[النحل]

جاء في تفسير الكشاف بيان كيف تكون الحياة الطيبة لمن يعمل العمل الصالح وهو مؤمن.

يقول: وذلك لأن المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً إن كان موسراً فلا مقال فيه وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه به وهو القناعة والرضا بقسمة الله...

وأما الفاجر فأمره على العكس إن كان معسراً فلا إشكال في أمره وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه يتهنأ بعيشه...

عنده ثلاث فلل يقارع أخاه وينازعه لأجل الفيلة الرابعة...

ملك معملين، قطع صلته مع كل عائلته لأجل قنص المعمل الثالث....

لا يحيا حياة طيبة وإن كان بين يديه ملايين الملايين...

جاء في تفسير الظلال: إن العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، ولا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية في المال فقد تكون به وقد لا يكون معها ، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة بحدود الكفاية، فيها الاتصال بالله، هناك سعادة في الاتصال بالله لا يذوقها إلا من عرفها ، هناك الاتصال بالله والثقة بالله والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، فيها الصحة والهدوء والرضا والبركة وسكن البيوت، ومودة القلوب، فيها الفرح بالعمل الصالح

وبآثاره في الضمير وآثاره في الحياة ، وليس المال إلا عنصراً واحداً يكفي منه القليل حتى يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله...

رجل بلغ قمم الحياة الخمسة، بعيداً عن الإيمان، كان قمة في العلم، وقمة في المال، وقمة في الجاه، وقمة في الأسرة، وقمة في العافية ، وجدوه منتحراً!!!

كتب ورقة يقول بها: لقد رقيت قمم الحياة كلها، لكني لم أجد السعادة حتى الآن....

الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الحياة الطيبة...

لا تذهبوا بعيداً أيها الإخوة لا نحو الشرق ولا نحو الغرب إذا أردت حياة طيبة فأمامك الإيمان والأعمال الصالحات، مهما عملت صالحاً مع إيمانك فأنت قريب جداً من الحياة الطيبة...

وهذا هو القانون الأول...

السنة الإلهية الثانية للذين آمنوا وعملوا الصالحات: الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيستخلفون في الأرض.

شاء من شاء، رضي من رضي، بعز عزيز أو بذل ذليل سيستخلف في الأرض الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ooooo(55) ﴾[النور] هذه سنة لم تتغير ولن تتغير وهي وعد من الله تعالى ولن تجد أحداً يعدك وعداً أصدق من الله...

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ooo(55) ﴾[النور]

لاشك إن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيمرون بالخوف وسيمرون بالقلة وسيمرون بالحاجة لكن العاقبة للمتقين...وقد قالوا: من ضحك أخيراً ضحك كثيراً...

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105)﴾ [الأنبياء]

إن قانون الاستخلاف في الأرض مبني على الإيمان والعمل الصالح هذه سنة ماضية في الأرض أن الأرض يرثها عبادي الصالحون...

نعم ، قد يظهر المجرمون وقد يستولي المفسدون لكن العاقبة للمتقين...

إن ما تفعله أمريكا اليوم في بلاد المسلمين مع كل تقدمها ومع كل قوتها ومع كل علمها التقني مؤذن بهلاكها وفنائها...

إن الخبراء السياسين ودارسي دورات التاريخ وأصحاب الإشراقات الروحية في العالم هم جميعاً الذين يقولون إن أمريكا ماضية نحو الاحتضار، إن ساعة النزع لها اقتربت لهلاكها...

هو نفسه مؤذن معلم بذهابها نحو الهاوية ومعلن رفعة الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانظر كيف كان عاقبة المفسدين...

أين نمرود وكنعان؟ ومن ملك الأرض وولى وعزل..

أين عاد؟ أين فرعون؟ ومن رفع الأهرام؟ من يسمع يخل...

أين من سادوا وشادوا وبنوا؟ هلك الكل ولم تغني الحلل...

سيعيد الله كلا منهم وسيجزي فاعلاً ما قد فعل....

القانون الثاني للذين آمنوا وعملوا الصالحات، والسنة الثانية أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيستخلفون في الأرض

السنة الإلهية الثالثة في الذين آمنوا وعملوا الصالحات: الناس كلهم في خسار الأغنياء والفقراء، الضعفاء والأقوياء، القلة والكثرة، الشرقيون والغربيون، أصحاب الشهادات العالية والشهادات غير العالية، كلهم خاسرون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات...

قال الله تعالى في سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) ﴾[العصر]

وقال في سورة التين: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) ﴾

حتى أصحاب الشهادات العالية ردوا في أسفل سافلين...

حتى أصحاب الجاه العريض ردوا في أسفل سافلين...

حتى أصحاب الأموال الكثيرة ردوا في أسفل سافلين...

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ooo (6) ﴾[التين]

يا أيها الإخوة: فلنجمع إلى مالنا أعمالاً صالحات...فلنجمع إلى جاهنا أعمالاً صالحات...فلنضم إلى مكانتنا الاجتماعية إيماناً وأعمالاً صالحات حتى نكون من الفائزين في الدنيا وفي الآخرة...

مهما دمر أعداؤنا فسنبني نحن،مهما حرق أعداؤنا فسنزرع نحن، ومهما أفسد أعداؤنا فسنصلح نحن، مهما هدم أعداؤنا فسنرفع نحن،لأن سمة المؤمن العمل الصالح،لأن شعار المؤمن عمل الصالحات....لأن صفة المؤمن عمل الصالحات....

نحن نهدي الكون زهرا وثماراً وسوانا يشعل النار ضراراً

كل نمرود إذا أوقد نارا عادت النيران برداً وسلاماً

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين أستغفر الله...